نزول القرآن

إن القرآن كان قبل نزوله في اللوح المحفوظ, قال تعالى :﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي ذكره الله تعالى في قوله :﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ . لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]، فالظاهر والذي عليه جمهور المفسرين: أن الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، ومعنى **(محفوظ)** أي عن استراق الشياطين، ومحفوظ عن التغيير والتبديل، ومعنى **(مكنون)** مصون محفوظ عن الباطل، والمعنيان متقاربان.

أما نزول القرآن على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - منجم مفرق في مدة ثلاث وعشرين سنة, ابتدأ إنزال القرآن على محمد صلّى الله عليه وسلم من مبعثه عليه الصلاة والسلام، وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة، وكان نزوله على أنحاء شتى، تارة بتتابع، وتارة بتراخٍ, وعلى حسب الوقائع، والحوادث، وحاجات الناس، ومراعاة للظروف.

دليل تنجيم هذا النزول

والدليل على تفرق هذا النزول وتنجيمه، قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٠٦]،معنى **{فَرَقْنَاهُ}** نَزَّلْنَاهُ مُفَرَّقًا في عشرين سنة أو وثلاث.[1]

وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: ٣٢]. قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم ، وكلامهم فيما لا يعنيهم ، حيث قالوا ﴿**لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً**﴾ أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به.[2]

قال السيوطي: والذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآنَ كان ينزل بحسَب الحاجة، خمسَ آيات، وعشرًا، وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول "المؤمنون" جملة، وصح نزول :﴿**غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾ [النساء: ٩٥] وحدها، وهي بعض آية، وكذا قوله :﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**﴾ [التوبة: 28] إلى آخر الآية، نزلت بعد نزول أول الآية.[3]

معنى نزل القرآن في شهر رمضان:

أخبر الله تعالى إن نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان. قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥], وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ [الدخان: ٣], وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١]. ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان المبارك، إنما يتعارض

---

[1] تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 269)

[2] تفسير ابن كثير ط العلمية (6/ 99)

[3] الإتقان في علوم القرآن (1/ 155)

ظاهرها مع الآيات الأخرى التي تفيد بأن القرآن نزل مفرقاً مثل قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ، ويتعارض كذلك مع الواقع العملي أنّ القرآن نزل منجّماً طول عشرين أو ثلاث وعشرين عاماً، في فترات ومناسبات خاصّة. وقد اختلف العلماء في هذا النزول على أقوال أشهرها قولان:

القول الأول: إن بدء نزوله كان في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجَّما في أوقات مختلفة حسب الحوادث والوقائع وحاجات الناس. وهذا اختيار محمد بن إسحاق والشعبي. القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في بدء بعثته، وكان أول نزوله في شهر رمضان، في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة حسب الحوادث والوقائع وحاجات, فليس للقرآن إلا نزول واحد منجم على الرسول صلى الله عليه وسلم.[4]

القول الثاني: القرآن نزل جملة واحدة في ليلة واحدة، هي ليلة القدر، إلى بيت العزّة أو البيت المعمور، ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما، طول عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً. واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1. عن مقسم ، عن ابن عباس سأله عطية بن الأسود أنه وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥], وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١], وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ [الدخان: ٣], وقد أنزل لشوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وشهر ربيع ، فقال ابن عباس : «**إِنَّمَا نَزَلَ فِي رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ مِنَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ**» (تفسير ابن أبي حاتم)
2. عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: 1], قال : «**أُنْزِلَ القرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ القَدْرِ إِلَى السَّماءِ الدُّنيَا وَكانَ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ، وكانَ ينزل على رسُولِه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعضَه فى أثَرِ بعض ...**» ، قال : وقالوا ﴿ **لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣]، (رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ، ولم يخرجاه).
3. عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال أنه قال : « **أُنْزِلَ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّماءِ الدُّنيَا فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً**» ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٦] (رواه البيهقي في شعب الإيمان**).**
4. عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ نُجُومًا**» (رواه الطبراني المعجم الكبير).

فهذه الأحاديث كلها موقوفة على ابن عباس وأغلب أسانيدها صحيحة. قال الفرطبي: ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل صلى الله عليه وسلم ينزل به نجما نجما في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة.[5]

وقال ابن حجر : وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقا هو الصحيح المعتمد.[6]

---

[4] انظر: دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: 195)

[5] تفسير القرطبي) 2 /297(

[6] فتح الباري - ابن حجر) 9 /4)

حكمة نزول القرآن منجما:

نزل القرآن منجماً ولم ينزل دفعة واحدة لحكمة ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: ٣٢], وقوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٠٦]،

هتان الآيتان تدلان على أن الحكمة من نزول القرآن منحما هي:

1- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه بنزول القرآن منجما مفرقاً طيلة البعث في ثلاث وعشرين سنة, فقد كان يتعرض الأذى والتكذيب من قومه أثناء دعوته لهم, فكان الوحي الذي ينزل بين الحين والآخر خير معين له, يشعره بأن الله معه, فيقوي ذلك الإتصال المتتابع على فترات عزيمته, ويساعده على التحمل ومواصلة الدعوة.

2- تقوية فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بمعاني الآيات حتى يعيه ويحفظه, إذ أن الحوادث كانت تقع والقرآن ينزل ببيان الحكم في كل حادثة وأسئلة, فيكون ذلك إعانة الرسول صلى الله عليه وسلم على فهم القرآن, وتثبيت هذا الفهم في فؤاده أي عقله. لأن كلمة فؤاد تدل على قلب وتدل أيضا على العقل

3- كان العرب قبل الإسلام يؤمنون بعقيدة تعمقت في نفوسهم, ويتبعون عادات وتقاليد وورثوها من عن أجدادهم, وقد تجمدوا على هذه العادات, فهم بحاجة إلى زمان لإقناعهم بالعقيدة الجديدة والدين الجديد وبحاجة للتدرج معهم في ترك ما اعتقدوه, واعتادوا عليه, فأنز الله القرآن مفرقا, ليقرع أسماعهم بين الحين والآخر في بيان بطلان عقيدتهم ليتركوها وفي بيان العقيدة الإسلامية ليعتقدوها

4- إن القرآن نزل في قوم أميين, لا يقرأون ويكتبون, وأراد الله أن يكون القرآن محفوظا في الصدور , فكان نزول القرآن مفرقا ليسهل على النبي صلى الله عليه وسلم تلاوته عليهم, و ليسهل عليهم أن يحفظوه وأن يلتزموا بما بما جاء فيه من الأحكام.[7]

أول ما نزل:

أصح الأقوال أن أول ما نزل هو قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١-٥], ويدل عليه ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِى النَّوْمِ ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ قَالَ وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِىَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهْوَ فِى غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » . قَالَ «فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِى . فَقَالَ اقْرَأْ . قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجُهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى . فَقَالَ اقْرَأْ . قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِى . فَقَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ**

[7] الواضح في أصول الفقه للمحمد حسين عبد الله, 46-47

رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) » . الآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ (رواه البخاري).

آخر ما نزل:

1- قيل: آخر ما نزل آية الربا، لما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: **آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - آيَةُ الرِّبَا** (رواه البخاري). والمراد بها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٧٨]

2- وقيل: آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ۖ﴾ [البقرة: ٢٨١] لما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس: **آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ**: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ۖ﴾ الْآيَةَ، [البقرة: ٢٨١]. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ۖ﴾ الْآيَةَ، [البقرة: ٢٨١]. وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليالي ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

3- وقيل: آخر ما نزل آية الدَّيْنِ، لما أخرج ابْن جرير من طريق ابْن شهاب عن سعيد بن الْمسيب أَنَّهُ بَلَّغَهُ أَنَّ أَحْدَثَ الْقُرْآنِ عَهْدًا بِالْعَرْشِ آيَةُ الدَّيْنِ. (مُرْسَلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ). والمراد بها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ۚ﴾ الْآيَةَ، [البقرة: ٢٨٢]

4- وقيل: آخر ما نزل سورة النساء, لما أخرجه البخارى عن البراء - رضى الله عنه - قال آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ [النساء: 176] قال الحافظ جلال الدين السيوطي: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا ﴿**وَاتَّقُوا** ﴾ [البقرة: ٢٨١] وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ذلك وذلك صحيح. وقول البراء: آخر ما نزل ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ**﴾ [النساء: ١٧٦] أي في شأن الفرائض.[8]

[8] السيوطي, الإتقان في علوم القرآن (1/ 102)